

صورة حية

سار في الدرب وحيداً ...

كلما مر به يوم من العمر مضى من بعده مستقبلاً يوماً
جديداً...

وتمر السنوات...

جمع الأموال حتى نال منها ما أراده "وزياده"...

وإذا أطلقها تمضي وتأتي مشتهاها..

سار في إثر خطاها..

قائلاً: إيه إن الأنس في درب الدعارة..

إنه دربٌ مليء بالإثارة..

وله جو مشوب بالحرارة...

تنعم النفس بلا قيد فما وجه القذارة؟!

عاش أياماً طويلة ..

هذه تغري وكم من غيرها تبدو جميلة..

كانت المتعة في وفرتها تبدو قليلة...

قط لم يرو غليله ...

نفسه التعساء ما زالت عليلة..

زوجه في البيت تشكو من جفاه

وتعاني ما تراه
لم تجد في بيته طعم الحياة
صرخت في وجهه أنت قد فارقتنا منذ زمان
جثة لا روح فيها لا حنان
غادر البيت ولم يأت المساء
واختلى بالندماء
رفقاء الشقاء
وشكى الحال فقالوا: إن تجد فيها لما تأمر طاعة
واضطبارًا وقناعة
أو فطلقها ولا تصبر عليها بعض ساعة
بدأ التفكير في هذا المساق
هل سيكون الحل حقًا في الفراق؟
من سيرعى بعدها طفلًا صغيرًا؟
من سيحنو فوقه عطفًا إذا اشتد بكاه؟
من سيرويه حنانًا وأمانًا من شذاه؟
أين جاهي أين هذا المال في وجه العذاب؟
هل تولى كل شيء كالسراب؟
أيها المهموم حاول

ضاعف البحث عن العيش الهني
 لا تخف أي مقابل
 إنهم قالوا بأن الخمر تجلو كل غمة
 وهي خير من فراق الطفل أمه
 ومضى يتجرع كاسات الضياع
 همه يزداد يوماً بعد يوم، ليس في الخمر متاع وانتفاع
 هاهنا اختل نظامه
 صارت الدنيا كما الليل أمامه
 طالعه المشكلات
 أثقلته التبعات
 وتولى خطوات
 زادت الفرجة عن أمس اتساعاً
 ابنه ... زوجته بالفقر ضاعا
 لم يعد يملك في الدنيا متاعاً
 كل شيء قد تداعى قد تداعى
 صار ممقوتاً ومديوناً وبين الناس مخرج
 ذلك العمر المبهرج
 قد تدحرج قد تدحرج

بدأ التفكير يرحو أي مخرج
إن في الموت لهذي النفس راحة
إنها في الانتحار
هل تراني سوف أنسى الهمَّ بعده؟
هل تراني أجد البهجة عنده؟
لا. فابني سيضيع
وإذا عاش يتيماً من سيرعاه؟
وهنا رقت النفس وجاشت بالبكاء
جاءه في هذه اللحظة بعض الأقرباء
إيه ماذا بك تبكي؟ فيقول
كيف لا وقد ضاع مالي وعزي وملكلي ومري
مضى في همه ينشد حلمه
غير أن الدهر قد قاومه من غير رحمة
راحتي في الموت دعني أقتل نفسي
حبذا أُلقي على طفلي قبل الموت نظره
ضمّه في عطف وحنان
ثم راحا ييكيان
وهنا دوى صوت الأذان

أقبل الناس إلى المسجد من كل مكان
دخل المسجد والناس ما بين ساجد وراكع
وهنا من يتلو القرآن والآخر سامع
إنه يشعر بالأنس ويغشاه الأمان
وتلاشت هاهنا أوهامه مثل الدخان
هاهنا الراحة لا توجد في أي مكان
ثم قاموا للصلاة
إنها فاتحة العمر وميلاد حياة
والدموع صبغت خده ومحياه
والنشيج لا تكاد تسمع إلاه
خرجوا بعد الفريضة
إيه كم ضيعت عمري كالسراب!
كم تجرعت العذاب!
كم تحملت الصعاب!
تبًا لك من حبة صغيرة ولكن لك ألف ناب
فتح الباب فألقى بنفسه بين يديها
راح ييكى كالصغير
ذهلت الزوجة ذلك الجبار ييكى!

نظرت فيه وقالت: ما الحكاية؟

ومضى في غبطة يروي لها ما قد عزم

قد بدا منه الندم، قد بدا منه الندم

وأصاحت تسمع أحلى حكاية

شرح الله فؤادي للهداية

وانتهى عهد الغواية

غير أني هذه المرة لي أقدر غاية.

إنها صورة مليئة بالأشجان، تروي المآسي تارة وأخرى تحكي
دموع الإيمان، إنها تكشف صفحات الألم المحرق، وتعود لتبدد الظلام
المطبق لتجلو نور الأمل المشرق.

كثيرٌ هم الذين يسيرون في دروب الحياة يفتشون منحنيات
الطرق ومداخل الأزقة بحثًا عن السعادة، فيقفون عن البحث إذا توافر
المال أو حازوا السيادة ظانين أن هذا هو آخر المطاف، والتفتيش عن
غيره إسفاف، وبهذا التفكير الخاطئ حاولوا أن يمتطوا ظهر كل شيء،
ليصلوا إلى الغاية المنشودة، فإليها كيف يصلون؟ وعن طريقها كيف
يكسبون؟ ثم ماذا؟ كان من الوسائل للوصول ذالك السم الويل
(المخدرات) وبئس السبيل فتعاطوها وأدمنوها ورؤجوها وهربوها
فكانت السيادة الموهومة والأموال المشوبة.

نعم نالوا ما يريدون ولكن بصورة مؤقتة، ثم أصبحت حياتهم

مشتتة، فطريق المخدرات أوله دلع، وأوسطه ولع، وآخره هلع، ضياع وانحراف، فساد وانحراف، فشل ورذيلة، عذاب وجريمة.

هذا سلاح من الأعداء غايته

ألا تعود إلى أمجادها النجب

كم حية صغرت في حجمها قتلت

حرًا وأرخص في تهريبها الذهب

ومنهم من يتدارك الأمر ويحاسب نفسه بقية العمر.

أي يوم من الموت أفر

يوم لا قدر أو أمر قدر

يوم لا قدر لا أرهبه

ومن المقدور لا ينجي الحذر

فعاد إلى الله القلب الصغير، وبكى على الماضي المرير، طالبًا الصفح من المولى القدير.

إلهي لا تعذّبنني فإني

مقر بالذي قد كان مني

وما لي حيلة إلا رجائي

وعفوك إن عفوت وحسن ظني

فكم من زلة لي في البرايا

وأنت عليّ ذو فضل ومنّ

إذا فكرت في ندمي عليها

عضضت أناملتي وقرعت سني

فوجد التائب السعادة، وتلذذ بالعبادة، ومني العاصي بالشقاء،
ولا زال يبحث عن المال والسيادة.

obeikandi.com